مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

الرحلة المغربية تجسيد لروح المواطنة
وصلة وصل بين المشرق والمغرب العربيين

د. كوثر أبو العيد

دكتوراه تاريخ العلاقات المغربية والمشرقية

أستاذة باحثة في التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة سيدي محمد بن عبد الله – المملكة المغربية

مُلَخّص

إن هويّة أية أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبّر عن شخصيتها الحضارية المبنية على نقط ثلاث: الدين الذي به يفسر الوجود واللغة الواسطة التعبيرية الطيّعة لنقل الخطاب والتاريخ الذي يحفظ الذاكرة وينعش الإحساس بالانتماء. والوطن العربي من الخليج إلى المحيط تجمعه هويّة الروح واللغة والتاريخ المشترك، ولم يكن بعد الواجهتين بمبرر لإحجام المغرب عن الاهتمام بهذه الناحية. بل أنه على العكس من ذلك كان يتوق إلى التوفر على معلومات أكثر عن تلك الجهات النائية التي تربطه بها رابطة الروح أولاً ورابطة اللغة ثانيًا. الروح، لأن الطرفين ولو أنهما متباعدان مسافة لكنهما يعتنقان دينًا واحدًا هو دين الإسلام الحنيف، وفي أكثر الجهات وفي أغلب الظروف كان الطرفان يتحدان أيضًا في المذهب الإسلامي كذلك، فالمذهب المالكي الذي استقر عليه الأمر في المغرب الأقصى منذ فجر الإسلام هو المذهب الذي وجد في المشرق ملاذًا يحتمي فيه من المنافسين له ممَنْ كانوا يريدون فرض مذاهب أخرى لهم بالجزيرة العربية، وهكذا فكما تحصن مذهب مالك بديار المغرب منذ البداية وجد مكانًا له في شعاب الجزيرة وأطرافها كيف وهو المذهب الذي نشأ في أحضان مدينة الرسول (ﷺ). أما الآصرة الثانية فهي اللغة الواحدة التي تعزز الانتماء بالذات والمواطنة العربية والتي يرجع لها أكبر الفضل في تمتين الصلات الروحية التي تحدثنا عنها. ولعل أيضًا من أبرز مظاهر الوحدة العربية الإسلامية هو ذلك التواصل الحضاري الذي ربط الخليج بالمحيط من خلال الرحلة المغربية إلى المشرق التي وصلت بين شقي العروبة، فرحلات المغاربة في مختلف العصور تعطينا صورة عن مدى إسهام الفكر العربي المسلم في هذا الشق الغربي من الوطن العربي في دعم مقومات المواطنة العربية التي هي من أبرز مفاخر تراثنا ومظاهر وحدتنا.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٠١ مايو ٢٠٢٤

تاريخ قبول النشر: ٣٠ مايو ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

الوحدة العربية الإسلامية؛ تاريخ العروبة؛ المغرب والمشرق؛ الرحالة؛ المغاربة

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2024.374411

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

كوثر أبو العيد. "الرحلة المغربية تجسيد لروح المواطنة وصلة وصل بين المشرق والمغرب العربيين".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد الخامس والستون؛ سبتمبر ٢٠٢٤. ص ١٧٨ – ١٨٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: kaoutaraboulaidfes@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تعتبر الرحلة من أهم الفنون الأدبية التي تمتن الاتصال بين الشعوب والتفاعل بين الأمم وما ينجم عن ذلك من تلاقح فكري وخدمات اقتصادية واجتماعية، كما تبقى الرحلة مصدرًا مهمًا للتعرف على البلدان والخصائص البشرية، ومن خلالها يكتشف الإنسان العالم فهي قناة لمعرفة الآخر ووسيلة من وسائل التواصل الحضاري بين البلدان. لقد رسخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر على الأرض، بل لقد فجرت في الإنسان استشعار المصالح المشتركة التي وثقت عرى هذه الوحدة على الأرض، ومن غير الرحلة ينفرط عقد هذه الوحدة وتتضرر حركة الحياة ومصيرها المشترك. إنها إذن الحكمة الإلهية الداعية إلى الاتصال والتواصل، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (القرآن الكريم، سورة الحجرات آية١٤). فالدعوة إذن عامة لكافة الناس للتواصل والحوار. ولا شك أن هذا التعارف الذي تدعو إليه الآية الكريمة لن يتم إلا باتصال الشعوب ببعضها البعض، ومن ثمة كانت الرحلة اليد التي تمتد لتقرب شعوبا تناءت عن أخرى تفصل بينها البحار والقفار، إذ سعت إلى وحدة البشر وتواصل الأمم في عصر خلا من وسائل الاتصال الحديثة التي تجاوزت حد التصور.

فالرحلة إذن رمت إلى معرفة الآخر، لذلك عني الرحالة في أسفارهم بالأمور الاجتماعية عناية بالغة، فتحدثوا عن شعوب البلاد التي زاروها واصفين عاداتها وطباع أهلها المألوف منها وغير المألوف، كما تحدثوا عن أصولهم. ومن ثمة كانت الرحلة أيضًا منهلا لعلماء الاجتماع والأنثربولوجيا والإثنوغرافيا. وينطبق هذا على الرحلة المغربية نحو المشرق منذ القرون الوسطى، فقد حقق المغاربة الحظ الأوفر في هذا المضمار، بل يمكن أن نصرح بكل ثقة واطمئنان أن المغاربة تفوقوا وحازوا فضل السبق والريادة في مجال الرحلة (نواب ١٩٩٦، ص ٧١) فلا غرو إذن أن يكون أشهر الرحالين الملقب بشيخ الرحالة (زيادة ١٩٨٠، ص١١-١٢) وأمير الرحالين المسلمين وماركو بولو العرب (أرينسون ٢٠٠٥، ص ١٧٣)، هو رحالة مغربي ويتعلق الأمر بابن بطوطة الذي غدت رحلته موضوعا للدراسة والترجمة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر(Sanguinetti 1968) . ولعل ما يفسر تفوق المغاربة والاهتمام بالرحلة، أنهم كانوا يرون في السفر رمزا للتحرر بمفهومه الوجودي والطبيعي (الأحرش ٢٠٠٤، ص٣١)، ولكونهم جبلوا على زيارة المقدسات الإسلامية والأخذ عن الشيوخ والتجوال من أجل البحث والاطلاع والتواصل مع الآخر، فضلاً عن مآرب أخرى استدعت تغربهم كالتجارة، لذلك كانت قائمة الرحلات في المكتبات المغربية تكاد لا تحصى خاصة تلك التي كانت صوب المشرق، فالحضور المغربي بالمشرق شكل ظاهرة متميزة على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي والديني والاجتماعي (عبد الرحمان ١٩٧٧، ص ٩٩). فقد أقام المغاربة في مصر والشام والحجاز وشاركوا في الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية (ط. عبد الرحمان ٢٠٠٠، ص ١٥-١٦)، فالشرق كان ولازال بغض النظر عن الأسباب التي كانت وراء رحلات المغاربة صوبه، يشكل رحلة في الزمان والمجال من حيث كونه يختزن ذاكرة تاريخية جماعية وتضم أرضه الأماكن المقدسة الإسلامية. كما أنه من بين أسرار ارتباط المغاربة بالمشرق: هو رغبتهم في ربط أواصر الأخوة والتعاون والاندماج في الأمة الإسلامية (تاويت ١٩٧٠، ص ٦٢) والابتعاد عن كل نزعة انفصالية دينية (Dragues 1951, p 41)

لقد كان الإنسان المغربي يحس بأن الفضاء الذي يعيش فيه لم يكن كافيا لإرضاء كل رغباته، بكل ما كان يحتضنه هذا الفضاء من محامد ومناقب، ولذلك فإن عليه أن يسعى لرؤية العالم الآخر: عالم المشرق الذي كان مصدر سعادته، والذي كان يجسد له مركز الإشعاع الروحي والفكري والحضاري بشكل عام. وإذا كانت المصادر التاريخية قد دونت أسماء عدد كبير من الرحالة المغاربة الذين جابوا الآفاق، فإن هناك من لا نجد له ذكرا فيها، نذكر على سبيل المثال أبو هارون الأغماتي الذي فارق وطنه في أواخر القرن الخامس وزار مصر والحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر ودخل

سمرقند وكان شاعرًا وخطيبًا بليغًا (الكتاني ٢٠٠٥، ص ٧). هذه الشخصية لا نجد لها ذكرًا في المصادر المغربية وهو الذي فتح سلسلة العلماء والأدباء الذين كانوا يغادرون أوطانهم باتجاه المشرق فيحصلون هناك على الشهرة.

هكذا يمكن القول إن عددًا كبيرًا من الرحلات المغربية قد تعرض للضياع أو مازال منزويًا في الرفوف المنسية لم تمتد إليه بعد يد التنقيب والدراسة. انطلاقًا من هذه المعطيات سنتطرق في موضوعنا عن دور الرحلة الحجية المغربية في تجسيد روح المواطنة وربط الصلة بين المغرب والمشرق، مع تقديم نماذج من الرحلات المغربية الموثقة لهذه الصلات الحضارية.

أولاً: الروابط التاريخية بين المغرب والمشرق

تعتبر العلاقات بين المغرب والمشرق من العلاقات المنسية وهو ما جعل المؤرخ المغربي "ابن زيدان" يقول في معرض حديثه عنها بأنها: كاد يصيبها الاضمحلال لولا أقلام الرحالة أمثال "الزياني" و "ابن عثمان" وغيرهم. ملاحظًا في نفس الوقت أن العلاقات الأوربية مع المغرب "وجدت من تنافس من أجلها وبنى لها صروحًا من الدعاية" (التازي، في تاريخ المغرب الدبلوماسي ـــ عدد ١٣٥ السنة ١٩٨٩). وإذا عدنا إلى هذه العلاقات، فإننا سنجدها علاوة على ذلك تمتاز عن باقي العلاقات المغربية الخارجية، بكونها تتجاوز المضامين السياسية لتشمل الروابط الجغرافية (جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي ١٩٦٩) والتجارية (ع. منصور ١٩٦١) والبشرية (زرع، الأنيس المطرب ١٩٧٢) إضافة إلى رابطة اللغة (الفاسي ١٩٨٥) والدين (جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي ١٩٦٩). وبشكل عام يمكن ملاحظة أن العلاقات المغربية المشرقية قد مرت بمرحلتين أساسيتين، قبل أن تأخذ طابعًا ومضمونًا سياسيًا، بعد الانقسام الذي عرفه العالم الإسلامي، وبعد ضعف الخلافة الإسلامية في الشرق. وهما مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي ومرحلة ما بعده.

أما مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي، فقد كانت الرابطة التجارية، أبرز تلك الروابط مما جعل علاقة المغرب بالمشرق تكتسي طابعًا تجاريًا، جعل من بلاد المغرب منطقة عبور ومن سكانه وسطاء، وبقيت وظيفة التعامل السياسي مع الخارج من اختصاص الدول التي سيطرت على المغرب الذي عاش حالة تبعية لم يبدأ العمل على التخلص منها إلا بقيام الإمارات والدول المستقلة بالغرب الإسلامي، ومن بينها دولة الأدارسة بالمغرب (١٧٢ه-٧٨٨ م). أما المرحلة الثانية والتي ابتدأت مع الفتح الإسلامي، فتتميز بكون المغرب فيها لم يعد يكتفي بدور الوساطة التجارية، بل تعداها إلى القيام بوظائف روحية دينية، تمثلت في حمل لواء الإسلام والثقافة العربية، ونشرهما من طرف المغاربة في اتجاه الجنوب والشمال.

مع قيام الأدارسة وبعد التطورات التي عرفها العالم الإسلامي بشكل عام، دخلت العلاقات المغربية المشرقية مرحلة المواجهة والاصطدام، لكون الأدارسة لم يهدفوا إلى إقامة دولة مستقلة عن الخلافات الإسلامية بالمشرق فقط. بل اعتبروا المغرب خطوة أولى فقط لتحقيق هدفهم الأكبر وهو إعادة وحدة العالم الإسلامي تحت رايتهم. حيث راسل المولى إدريس أهل مصر يدعوهم لبيعته (بنمنصور بلا تاريخ) كما كانت أولى خطواته العملية في اتجاه تحقيق هذا الهدف، ضم تلمسان (أحمد بن خالد الناصري ١٩٥٥) مما حرك ردود فعل عنيفة من طرف الخلافة في المشرق تمثلت في قتل المولى إدريس من طرف أحد حلفاء الرشيد بعدما صرح بأن"...الرجل فتح تلمسان، وهي باب إفريقيا، ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار..." (الزياني ١٩٦٧).

مع قيام الفاطميين سيزداد الصراع بين المشرق والمغرب حدة نتيجة عامل الاحتكاك الناتج أولاً عن الجوار الجغرافي بين الطرفين بعدما أصبح نفوذ الفاطميين يضم إلى جانب الشمال الإفريقي مصر وفلسطين وسوريا. ثانيًا، نتيجة الصراع العقائدي بين الطرفين فالفاطميين شيعة والأدارسة سنة (زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في تاريخ المغرب ومدينة فاس ١٩٧٣). والصراع بين الطرفين تحول إلى صراع إيديولوجي، جعل كل طرف يبرر موقفه السياسي من

الآخر تبريرا مذهبيا، خاصةً وأن الأدارسة بالمغرب والمروانيين بالأندلس أصبحوا يمثلون قاعدة الإسلام السني في الغرب الإسلامي (زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في تاريخ المغرب ومدينة فاس ١٩٧٣، ص ٨٩-٩٠).

مع المرابطين دخلت العلاقات بين المغرب و المشرق مرحلة التميز و الاستقلال النهائي عن المشرق، ذلك أن يوسف بن تاشفين الذي بايع في البداية الخليفة العباسي في المشرق نجده فيما بعد يتلقب بلقب "أمير المسلمين وناصر الدين" بعد انتصاره في معركة الزلاقة، وبعث بأحد سفرائه إلى المشرق (بنمنصور بلا تاريخ، ص٢٠٤) وهي سفارة وإن كان الغرض منها تأكيد سلطة يوسف بن تاشفين على ما هو موجود تحت سلطته الفعلية وتبرير شرعية أعماله بالنسبة لملوك الطوائف فإنها تدل أيضًا على بداية مرحلة الاستقلال النهائي عن المشرق خاصةً بعد ازدياد الأخطار الخارجية على العالم الإسلامي وخاصة على منطقة الغرب الإسلامي حيث حمل المرابطون لواء الجهاد بالأندلس، وهو ظرف كان يتطلب استقلالا في القرار السياسي لمواجهة الأخطار المسيحية بالمنطقة (بنمنصور بلا تاريخ، ص١٧٨).

في العصر الموحدي أصبح التقارب السياسي بين المشرق والمغرب ضرورة موضوعية واستراتيجية لمجابهة الأطماع الخارجية بالنسبة للجانبين وتجاوز التمزق السياسي الداخلي خاصةً بمنطقة الشمال الإفريقي، حيث انفصل الحفصيون بتونس (حسني ١٩٧٦، ص١٢٣). وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط (المنوني ١٩٧٩، ص٥). مع الدولة المرينية ازدادت شروط التقارب بين المغرب والمشرق بعدما تكتلت الإمارات وتحالفت مع ما بقي من ملوك الطوائف ضد السلطة المرينية وبعدما عرف المشرق بدوره هجوما من طرف التتر مهد لإقامة اتصالات ديبلوماسية بين الطرفين، حيث كاتب السلطان المريني أبو الحسن، الملك الناصر محمد قلاوون (القلقشندي ١٩٩٢، ج٧، ص ٣٩٥) وقد تناولت تلك الرسائل الأحوال في المشرق والمغرب كما حملت تفاصيل أخبار هجوم تيمورلانك على الشام والوضع في مصر. وقد مهدت تلك الاتصالات إلى بداية التفكير في بناء حلف عسكري بين المرينيين وممالك مصر لمجابهة الأخطار الخارجية حيث عرض السلطان أبوسعيد عثمان على الملك الناصر، مساعدة عسكرية إذا استمر الزحف على المشرق من طرف تيمورلانك سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) (القلقشندي ١٩٩٢، ص ١٠٣ــــ١٠٦).

مع بداية العصر الحديث ونظرًا للتغيرات التي عرفها العالم آنذاك والمرتبطة ببداية تفوق الجانب المسيحي على الجانب الإسلامي وبداية الاكتساح العثماني لمصر وبلدان الشمال الإفريقي، جعلت العلاقات المغربية المشرقية تدخل مرة أخرى مرحلة من مراحل المجابهة المباشرة بين المغرب والمشرق خاصةً عندما أعلن محمد الشيخ السعدي حربه على الأتراك الذين بدورهم بعثوا من اغتاله سنة ١٥٥٧م (Meinier 1982, p459).

وتبقى فترة حكم سيدي محمد بن عبد الله من أهم فترات الوفاق السياسي في العلاقات المغربية المشرقية ويأتي ذلك نتيجة جهوده التي بذلها من أجل تطوير العلاقات المغربية الخارجية ومن بينها علاقته مع السلطة العثمانية بالمشرق. لكن مع حكم السلطان المولى سليمان الذي تعاطف مع تعاليم الحركة الوهابية وارتبط بدعاتها ستأخذ العلاقات المغربية المشرقية مضمونًا روحيًا ودينيًا خاصةً بعد أن استجاب السلطان العلوي لتعاليم الوهابية (الزياني ١٩٦٧، ص٤٦٦- ٤٧٠) مؤكدًا بذلك الأسس الموضوعية والدينية التي بنى عليها سياسته المشرقية وهي الأسس التي هدفت إلى إقامة وحدة إسلامية مبنية على وحدة القاعدة الدينية، وذلك بالرجوع بالإسلام إلى صفائه ونقائه الأصلي. الجدير بالذكر أن أخبار الحركة الإصلاحية الوهابية وصلت إلى المغرب عن طريق الرحلة المغربية الحجية لسنة (١٢١٧هـ/١٨٠٢م) (Mohamed s.d., p 266) مما يدل على أن رابطة الروح والدين واللغة كانت حاضرة، يرجع لها الفضل في تمتين الصلات الحضارية و من الطريف أن نجد أن بني سليم وبني هلال الذين تحيزوا إلى عمان البحرين وصاروا جندًا للقرامطة، هم أنفسهم الذين صاروا إلى المغرب عن هذا الطريق بعد أن انتقلت دولة العبيديين المغاربة إلى مصر وغلبوا القرامطة على الشام وردوهم إلى البحرين (التازي، في تاريخ المغرب الدبلوماسي ـــ عدد ١٣٥ السنة ١٩٨٩).

إن هذا الواقع الذي أصبحت تعرفه العلاقات المغربية المشرقية ستغيره الأحداث التي عرفتها نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، خاصة أحداث الحملة الفرنسية على مصر التي أصبح مشروع غزوها ضرورة استراتيجية بالنسبة لفرنسا في حربها مع إنجلترا. وهو ما انعكس سلبًا على علاقات المغرب بالمشرق حيث أصبح من المتعذر على الطرفين الاتصال ببعضهما البعض وأصبح من الصعب على الرحالة، الوصول إلى المشرق عبر الطريقين البري والبحري، وحتى ركب الحاج المغربي والذي كان مروره لا يرتبط ولا يتأثر بتقلبات الظروف السياسية في المشرق، نجد الفرنسيين قد فرضوا عليه عدة إجراءات لمنعه من المرور، ويورد لنا المؤرخ المصري: الجبرتي عن هذه الحادثة قائلاً: "حيث نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم من الخدامين أو البطالين ليسافروا إلى بلدهم، وكل مَنْ وجد بعد ثلاثة أيام يستأهل الذي يجري عليه..." (الجبرتي ١٩٧٨، ص ١٩٨). ثم يذكر الجبرتي –في نفس السياق– أن حضور المغاربة إلى الحج في ذي القعدة سنة ١٢١٣هـ، أشاع حالة استنفار بمصر لكون الناس أذاعوا بأنهم عشرون ألفا حضروا لتخليص مصر من الفرنسسين (الجبرتي ١٩٧٨، ص ٢٦٩). وقد أرسل الفرنسيون من استطلع الأمر فوجدوهم" ...طائفة من خلايا وقرى فاس فصادروا أسلحتهم واحتفظوا بكبيرهم كرهينة عندهم حتى يمروا ويلحق بهم بعد يوم" (الجبرتي ١٩٧٨، ص ٢٦٩).

نستنتج من كلام الجبرتي أمرين اثنين:

الأول: رغم الظروف السياسية التي كان يمر بها العالم الإسلامي – في هذه الظرفية التاريخية من توسع الحركة الإمبريالية– لم ينقطع ركب الحاج المغرب إلى المشرق، مما يدل على رغبة المغاربة الجامحة في الاتصال بإخوانهم المشارقة في أحلك الظروف مهما كلفهم ذلك.

الثاني: رحلة المغاربة إلى المشرق من أجل الحج أو لقاء العلماء أو المجاورة بالحرمين الشريفين والحرم الأقصى، لم تكن تثنيهم عن القيام بالعمل الخلقي تجاه إخوانهم المشارقة والمتمثل في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في مصر وهذا يذكرنا بما ورد في المصادر التاريخية مثل موسوعة مجير الدين العليمي "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل" عن مشاركة المغاربة لصلاح الدين الأيوبي في استرجاع القدس من الصليبيين وهو الأمر الذي جعله يتمسّك بهم ويقطعهم الأرض التي ستصبح فيما بعد "حارة المغاربة".

وبعودتنا إلى الجبرتي ندرك أن فرنسا كانت تحتاط من المغاربة على الخصوص من كون بعضهم تزعم حركة الجهاد ضد الفرنسيين بمصر ونورد في هذا الصدد كلام الجبرتي عندما ذكر أن الفرنسيين في ذي الحجة من عام ١٢١٣هـ توجهوا إلى دامنهور لقتل بني عدي "... لكونهم عصوا عليهم بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربي يدعي المهدوية ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضروا إلى دامنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية..." (الجبرتي ١٩٧٨، ص ٢٧٤). ولم يكن هذا الشخص هو المغربي الوحيد الذي تزعم جهادا ضد الفرنسيين بعد دخولهم إلى مصر، إذ نجد شخصًا آخر بشبه الجزيرة العربية عندما سمع بقدوم الفرنسيين إلى مصر فقام بالحجاز ونادى بجهادهم (الجبرتي ١٩٧٨، ص ٢٥٠). كما يخبرنا الجبرتي أيضًا في مؤلفه المذكور في الجزء الثالث منه عن شخص مغربي يدعى السباعي، مرّ بمصر في طريقه إلى الحجاز لكنه اصطدم بالاستعمار الفرنسي فقطع حجته واستقر بمنطقة البحيرة يجاهد إلى جانب إخوانه المصريين (عبد الرحيم ٢٠٠١).

لذلك كان المحاربون يحتاطون لمرور المغاربة بمصر ويراقبون عملية الاتصال بينهم وبين المشارقة لمنع أي ارتباط بين الطرفين خاصةً وأن حركة جهاد المتطوعين المغاربة ومَنْ انضم إليها من المصريين– رغم ضعفها وتفرقها– أثرت على مخططات الفرنسيين بمصر والشام، وقد كانت عملية الجهاد هذه من بين الأسباب التي دفعت نابليون إلى رفع الحصار على مدينة عكا حسب التقرير الذي بعثه إلى الجيش الفرنسي بمصر، إذ يذكر أن من بين الأسباب: المغربي محمد الأحرش الذي جمع المتطوعة و حارب بهم الفرنسيين بمصر وعاد لينضم إلى حركة المقاومة في الجزائر سنة ١٨٠٥ إلى أن قتل سنة ١٨٠٧م (الجزائري ١٩٦٤، ج ١، صص ١١٧–١١٨). مما جعل نابليون يضطر إلى التفاوض مع

العثمانيين وحلفائهم الإنجليز، فكانت اتفاقية العريش عام (١٢٢٤هـ/١٨٠٠م) التي تقضي بانسحاب الفرنسيين من مصر وإعادتها للعثمانيين.

وهناك ناحية مهمة من تاريخ المنطقة ظلت مجهولة إلى الآن، ونعني بها تلاقي المحيط مع الخليج في الإجهاز على السيطرة الأجنبية التي تتمثل في سيطرة البرتغال على القلاع الحساسة المشرفة على الخليج والساحل. ويتعلق الأمر بالفترة المظلمة التي مر بها ساحل عمان ومضيق هرمز وساحل الخليج، فقد تمكنت البرتغال من بسط نفوذها في الخليج منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي (١٥٠٧ وفي سنة ١٥٢٢)، عين مسؤولون برتغاليون لتحصيل الضرائب الجمركية من هرمز والبحرين ومسقط (التازي، في تاريخ المغرب الدبلوماسي ـــ عدد ١٣٥ السنة ١٩٨٩).

وقد كانت البرتغال عمدت إلى محاولة إنزال الضربة القاضية بالمغرب الذي ما فتئ يقدم العون لإخوانه في المشرق على الرغم من بعد الدار.. هكذا استولى البرتغاليون عام (١٤١٥-١٤١٦) على مدينة سبتة المغربية بعد محاصرة ست سنوات. وليس صحيحًا أن الباعث لانسياب البرتغال في أطراف آسيا كان فقط بدافع الاتجار في البهارات، ولكن هنالك باعثا وراء ذلك الغزو.. ولا نعتقده إلاّ الحرب الصليبية التي كشرت عن أنيابها ضد مختلف الجهات التي كان فيها الإسلام سائدًا. وهذا يذكرنا بما وقع زمن صلاح الدين الأيوبي الذي بعث سفارة للعاهل المغربي المنصور الموحدي ورجوع السفارة بما طلبته في مائة وثمانين أسطولاً منعت النصارى من سواحل الشام (أحمد بن خالد الناصري ١٩٥٥، ج٢، ص ١٦٢-١٦٣-١٦٤).

لقد تمكن البرتغال هنا وهناك، وفي هذا الوقت كان المغرب كان على علم تام بما يجري على أطراف عمان وبالتالي على شاطئ الخليج من خلال سفرائه العديدين الذين كان يبعث بهم إلى الدولة العثمانية. نذكر على سبيل المثال: سفارة التامجروتي (الغربي ١٩٧٠) وقد حكى عن القمع الذي كان يمارسه البرتغال سواء مع القوى المحلية للمنطقة أو مع الأتراك أنفسهم. (ferrand s.d.) وفي هذا الوقت بالذات كان البرتغاليون يطمحون إلى أن يستحوذوا على الساحل المغربي كله، فقدموا لغزوه حيث كانت معركة وادي المخازن (عام ٩٨٦هـ-١٥٧٨م) التي حاول التاريخ الأوربي عن عمد كتم أنفاسها وإخفاء أبعادها عن الناس. هذه الأحداث وهذا التاريخ المشترك بين الخليج والمحيط يعكس روح الوحدة التي قادتهما إلى روح المواطنة العربية التي ربطتهما منذ فجر التاريخ. ومن المشرف حقًا أن الجهود كانت تضافرت كلها من أجل طرد الأجنبي عن البلاد، ولم يبق هناك أي شعور بالمذهبية ولا أي شعور بالطائفية أمام الغزاة. وكما كان الأمر بالأمس فقد تناسى الناس كل المنافسات المذهبية وتكتلوا صفًا واحدًا ضد الوجود الأجنبي ولم يبق هناك أي شعور بالنعرات الطائفية كذلك، هكذا لبى المالكية نداء الأباضية للجهاد كما وقفت إلى جانبهم مختلف المذاهب الأخرى.. فكانت نهاية الحرب الصليبية في هذا الجزء من العالم الإسلامي.

إن هذا الاهتمام والارتباط بالمشرق، ظل قائما إلى يومنا هذا وهو ما يجسده التفاعل مع تطورات وأحداث عديدة عرفها المشرق العربي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، لعلّ أهمها على الإطلاق تقسيم فلسطين ونكبة العرب في حرب ١٩٤٨م أمام إسرائيل، مما ألقى بثقله على المنطقة طوال عقد الخمسينيات من القرن الماضي وما تلاه، وهو ما ظل قائمًا إلى الآن. وقد تفاعل المغاربة معها بحكم الوشائج التاريخية والدينية والعاطفية والانتماء المشترك مع أقطار المشرق العربي إلى المؤسسة ذاتها أي الجامعة العربية. إضافة إلى تأثير تلك الأحداث والتطورات بشكل من الأشكال في المغرب.

عبّر المغاربة عن تفاعلهم مع قضايا المشرق العربي في الخمسينيات عبر أدوات مختلفة:

- رحلات إلى بلدان مشرقية، من أبرزها رحلات عبد الهادي بوطالب (بوطالب ١٩٩٣) والتهامي الوزاني (الوزاني ٢٠١٣) وأبي بكر القادري (القادري ١٩٩٥). وإذا كانت رحلة الوزاني اقتصرت على مصر فإن رحلتي بوطالب والقادري شملت بالإضافة إلى مصر، أقطارًا عربية أخرى. مما جعلهما يقفان على الفوارق والتجاذبات القطرية والبين قطرية. قدم القادري تقريره إلى الملك محمد الخامس فور عودته من رحلته إلى المشرق، وما من شك أن السلطات المغربية

استفادت من هذا التقرير حول أوضاع أقطار مشرقية في ترتيب دخولها للجامعة العربية وتنظيم علاقاتها بهذه الأقطار، وفي الإعداد لاحقا لزيارة محمد الخامس لدول مشرقية في أوائل سنة ١٩٦٠ (المكاوي ٢٠٢٠، ص ١٥).

- شهادات ومذكرات طلبة مغاربة في دول عربية خاصة في مصر وسورية، فقد عاش هؤلاء وعايشوا أمثال عبد الكريم غلاب، محمد التازي، محمد برادة، محمد عبد الجابري أحداثًا جسيمة، منها: ثورة الضباط الأحرار، العدوان الثلاثي على مصر، الوحدة المصرية السورية...إلخ.
- شهادات ومذكرات شخصيات مغربية عملت في السلك الديبلوماسي أو تقلدت مناصب وزارية: منهم عبد اللطيف الفيلالي، محمد التازي، عبد الرحيم بوعبيد.
- صحف ودوريات مغربية غطت أحداث أقطار عربية مشرقية وتفاعلت معها من منطلقات مختلفة سواء في أواخر عهد الحماية أم بعد حصول المغرب على استقلاله، نذكر منها: العلم، صحراء المغرب، رسالة الأديب، الطليعة، دعوة الحق...
- مناقشات واستفسارات تمت إبان انعقاد المجلس الوطني الاستشاري فيما بين سنتي ١٩٥٦ و١٩٥٩، عن تأخر انضمام المغرب للجامعة العربية، والإنزال الأمريكي في لبنان والتدخل البريطاني في الأردن.
- بيانات رسمية وردود فعل السلطات المغربية إزاء قضايا مشرقية مثل مساندة المغرب لمصر إبان حرب السويس، أو استنكار انطلاق جنود الإنزال الأمريكي في لبنان من قواعد عسكرية أمريكية فوق التراب المغربي..

ويمكن التقاط تفاعل المغاربة مع قضايا مشرقية من مصادر شرقية أو من مصادر أوربية لاسيما فرنسية فقد كانت فرنسا على سبيل المثال، حريصة على رصد ردود فعل المغاربة ومواقفهم إزاء إسهامها في العملية الثلاثية (حرب السويس) ضد مصر، دون أن يغيب عن الأذهان، ربط فرنسا لهجومها على هذا القطر بدعمه للثورة الجزائرية، مع إرهاب المغاربة حديثي العهد بالاستقلال مع استمرار أعداد هائلة من القوات الفرنسية مرابطة فوق التراب المغربي.

ثانيًا: من مظاهر الوحدة العربية الإسلامية (الرحلات الحجازية وصلت بين شقي العروبة)

لا يوجد في تاريخ الإنسانية موقع جغرافي حج إليه ملايين البشر في كل جيل مثل الجزيرة العربية، و لا يوجد موطن استقطب خمس الإنسانية في طموحاتها الفكرية و تطلعاتها الروحية مثل الحجاز، الوطن الروحي الأول لكل مؤمن، فادعاء الاغتراب في مهبط الوحي ومنطلق الرسالة المحمدية هو شذوذ في عقيدة كل مؤمن يستشف في مثوى الرسول رمز الرحمة والمثالية وإشعاع الروح والوجدان، فلذلك لم تعرف و لن تعرف مواقع السياحة الدولية مسارًا أكثر استراحًا وأشد استمراحا من هذه الأرض الطاهرة التي ظلت كعبة الرواد منذ انطلقت دعوة إبراهيم الخليل الأب الثاني للبشرية، تذكي الأفئدة والمشاعر خلال أربعة آلاف من السنين، وشاء القدر الذي هيأ لهذه البقعة المقدسة أن تكون منارًا للإنسانية جمعاء- أن تكون أيضًا منطلق الحضارات التي أشعت على الرافدين ونهر "بارادا" والبحر المتوسط، وقد جمعنا الحجج التاريخية النابعة من الحفريات الأثرية ومقارنة اللهجات السامية الدالة على أن الجزيرة العربية هي منبثق الحضارات السامية التي كيفت أقاليم الهلال الخصيب وما وراءه اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، ولذلك يمكن القول بأن العرب البائدة الأصيلة هي التي نزحت من جنوب الجزيرة العربية حول الألف الثانية قبل الميلاد إلى جنوب العراق واستقرت في مناطق بابل إلى آسيا الصغرى ومنها انطلق الآخيون والدوريون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى بحر إيجة لتأسيس ممتدنات اليونان (التازي، اللغة الأم ١٩٩٠).

فلا بد إذن أن تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضاري في تاريخ المستقبل لأنها هي النبع الوحيد الذي يفيض ليغمر تواريخ الإنسانية في كل مكان وخاصةً في المعمور الذي رفرفت عليه ألوية الإسلام. وقد تجلت هذه النفحات في آلاف الرحلات التي دونها المسلمون

طوال أزيد من ألف عام في مختلف بقاع الأرض ليسجلوا انطباعاتهم وارتساماتهم في طريقهم إلى الحرمين. وقد يكون من العبث محاولة تقصي هذه النفحات بالنسبة لإقليم بذاته، فضلاً عن المجموع، غير أن استعراضًا موجزًا لرحلات ضمن مكان مخصوص كرحلات المغاربة في مختلف العصور، تعطينا صورة عن مدى إسهام الفكر العربي المسلم في هذا الشق الغربي للعالم العربي في دعم مقومات المواطنة العربية التي هي من أبرز مفاخر تراثنا ومظاهر وحدتنا.

وهذه نبذة يسيرة وأنموذجًا مقتضبًا عن الرحالين المغاربة:

- ابن أبي عسرية أحمد الفاسي الفهري (١١٣٧هـ/١٧٢٤م). له رحلة حجازية نقل عنها صاحب "نشر المثاني" (القزويني ١٩٧٧) في ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوي السريفي ونسبها له سلطان المغرب مولاي سليمان في كتابه "عناية أولي المجد".
- الأزرقي أحمد بن محمد أبو محمد إسحاق الخزاعي الفاسي. له "تاريخ مكة" (نسخة بألمانيا عدد١٧٠٥).
- أبو الحسن محمد بن أحمد ابن جبير، رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية: عصر الحروب الصليبية. تحقيق، حسين نصار، دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.
- محمد بن محمد العبدري الحيحي، رحلة العبدري المسماة: الرحلة المغربية، تحقيق وتقديم وتعليق، محمد الفاسي الرباط، ١٩٦٨.
- رحلة الحسن بن محمد الغسال: الرحلة الطنجوية المزوجة بالمناسك المالكية- قام بها عام (١٣١٥هـ)، وهي من تقديم وتحقيق: عبد الخلوق التمسماني، مطبعة فضالة، ط ١، المحمدية ١٩٩٨م.
- رحلة أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني: الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية قام بها سنة (١٣٢١ هـ/١٩٠٤ م) وهي من تخريج الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، تقديم وتعليق محمد بن عزوز، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- رحلة الشيخ ماء العينين بن العتيق: الرحلة المعينية. قام بها سنة (١٩١١م) وهي من تحقيق: شبيهنا حمداني، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، ط ١، الرباط، ١٩٩٨م.
- رحلة ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (٧٧٩-١٣٧٧م). طبعت مرارًا أعوام ١٢٧٨هـ و١٣٢٢هـ و١٣٤٦هـ. وهي الرحلة المعروفة باسم: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار.
- رحلة محمد حجي بوشعرة إلى الحجاز سنة ١٣٤٨ه وهي من تحقيق د. كوثر أبو العيد من منشورات المركز العربي للأدب الجغرافي، دار السويدي، أبو ظبي، ٢٠٢٢م.

هنالك رحلات أخرى غير هذه يتعذر استيفاؤها وإنما أعطينا نماذج لنلمس مدى أهمية هذا النوع من التراث في إلقاء أضواء كاشفة على جوانب خاصة من تاريخ الجزيرة العربية والأقطار الواقعة في طريق الحجيج.

ولا توجد في جغرافية المسالك والممالك قطعة من الأرض حظيت بعناية الرحالين والمؤرخين مثل الطرق الكبرى المؤدية إلى الحجاز التي صنفت فيها مئات الكتب المختلفة المنازع والأساليب ومآت القصائد الحافلة بوصف المنازل والمراحل، علاوة على ما تطفح به من مشاعر الحنين التي جعلت من هذه الطرق لا متعبدات فقط، بل مجمعات استوثقت عبرها الصلات بين الشعوب الإسلامية ومبادلة الإجازات بين العلماء وتلاقح معطيات الفكر العربي والإسلامي مما لم يعرف له نظير حتى بعد عصر النهضة وما طرأ من سهولة وسرعة على المواصلات. بل طرقًا صوفية سنية كطريق أبي محمد صالح دفين آسفي (وهو من رجالات القرن الثامن امتدحه شعراء الشرق مثل البوصيري) اقتصر شعارها الصوفي على ترحيل الحجيج من المغرب إلى الحجاز وتوفير محطات الاستراحة و متطلبات السفر على طول المراحل وخاصةً الصحراء، وكان هؤلاء الحجيج الذين لم تكن تخلو منهم الجادات و السبل الكبرى طوال السنة يتواكبون في ركب موصول يسمى "الركب الصالحي"

(التازي، في تاريخ المغرب الدبلوماسي ـــ عدد ١٣٥ السنة ١٩٨٩) يستهدف بالإضافة إلى أداء فريضة الحج، توثيق الرباط بين الشعوب الإسلامية، وكانت لأفواج الحجيج قوافل تنحدر من شنقيط وكبريات عواصم المغرب لتتجمع بسجلماسة أو مراكش أو فاس ومنها تتخذ طريقها متكاثفة عبر ما سماه الرحالة ابن مليح بطريق الفقهاء أي فقهاء المذهب المالكي الذين كانوا ينحازون عن متجمعات الخوارج في بعض مناطق المغربين الأوسط والأدنى للإنسلال من بلاد فزان إلى أرض الكنانة.

وقد تبلور نتاج هذه الروابط علاوة على الرحلات فيما صنفه العلماء من فهارس وأثبات سجلوا فيها إجازاتهم وارتساماتهم وما جنوه من ثمار خلال رحلاتهم، فلم يقل هذا النوع من المعلومات فائدة ولا عائدة عن مضامين الرحلات، وكانت الصلات حقًا متبادلة، إلا أنها نادرة بالنسبة للواردين على المغرب من المشرق، ومع ذلك فإن فكرهم النابع من إجازاتهم ودروسهم ومؤلفاتهم، كان يرحل إلى المغرب مع العائدين فيهم بحظ وافر في إثراء المكتبة العربية الإسلامية في المغرب العربي وما زالت مكتباتنا العامة والخاصة تزخر بنوادر المخطوطات الشرقية التي ضاع بعضها في الشرق واحتفظ المغرب بأصولها الفريدة، ويندهش المشرقي عندما يتصفح فهارس المخطوطات بالمغرب فيجد مئات المصنفات الأصلية التي لا تعرف مكتبات المشرق إلا عناوينها محفوظة مصونة تنتظر توثيق التعاون بين شقي العروبة لإحياء هذه المعالم الناصعة لترتثنا المشترك وهو عمل يجب ألاّ نتوانى في وضع التخطيطات الرصينة لبعثه لأنه لا يقل أهمية عن باقي مقومات تراثنا ودعامات كياننا الحضاري.

إن رحلات المغاربة إلى الشرق للحج أو الجوار، جسدت مفهوم المواطنة العربية من خلال الدور الطلائعي الذي قام به الرحالة في بلورة التبادل الفكري بين أجزاء العالم الإسلامي، ومن هؤلاء:

محمد حجي الهاشمي بوشعرة الذي عرّج على العديد من الدول المشرقية في رحلته الحجية سنة (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) –التي سبق ذكرها- والتقى هناك برجالات الفكر والأدب كالشيخ الخطيب "محمد المحمصاز" وهو شافعي المذهب، والعلامة "يوسف النبهاني" قاضي بيروت الذي زود بوشعرة بآخر إنتاجاته الفكرية (بوشعرة ٢٠٢٢، ص ١٧) فالحج إذن فضلاً عن كونه شعيرة دينية، كان أيضًا مناسبة اجتماعية وثقافية (المليح ٢٠٠٥، ص ٣٣-٦٠). بل كان على مر التاريخ ذلك الشريان الذي يربط المغرب بالمشرق رغم المحن والحوادث التي عرفها العالم الإسلامي، فكانت الرحلة المغربية صوب الحجاز نعم السفير والوسيط في توطيد العلاقات التاريخية بين المغرب والمشرق لاسيما على المستوى الفكري والاجتماعي والسياسي (ferrand بلا تاريخ).

أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي الدكالي (١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م) رحل إلى المشرق عام (١١٤٠هـ/١٧٢٧م)، وأخذ عنه شيوخ مصر والحرمين وذاع صيته في الحجاز فأصبح أحد سفراء الشرق لا في المغرب الأقصى وحده، بل من فاس إلى دكار نظرًا للدّور الذي كانت تقوم به جامعة القرويين وعلماؤها بين الشناقطة وأهل السنغال من خلال مذهب واحد تغلغلت جذوره في قلب الحواضر والصحاري وهو مذهب إمام المدينة مالك بن أنس، ويكفي أن نلاحظ أن المسمى علي بن عبد القادر الشرقي باشا السودان الغربي، هو الذي ترأس ركب حجيج السودان عام (١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) صحبة الرحالة المغربي: ابن مليح. حيث كانت مواكب الحجيج من داكار إلى فاس تتجمع لتآليف قوافل ما يمكن أن تسميه اليوم بإفريقيا الشمالية الغربية. وبعض هؤلاء الحجاج الذين لم يسجلوا الرحلات صنفوا في "مناسك الحج وآداب الزيارة" كأحمد ابن قاسم جسوس (١٣٣١هـ/١٩١٢م).

ومن المغاربة الذين جاوروا في الحجاز وطافوا المعمور ناقلين روائع الفكر الإسلامي الحجازي وخاصة المكي والمدني إلى مختلف الجهات:

- سليمان بن أحمد الطنجي المتوفى قبل ٤٤٠هـ/١٠٨٤م (العزيز ٢٠٠١، ص٦٤).
- موسى بن إبراهيم أبو هارون الأغماتي المحدث (٥١٦هـ/١١٢٢م) الذي التحق بعد مقام في الحجاز بمصر وخراسان وما وراء النهر وأقام بنيسابور (الحموي ١٩٩٣).

- علي بن عتيق بن عبد الرحمان الفاسي الأصولي المفسر الحافظ (كان حيًا عام ٧٢٦ه/١٣١٥م) الذي استقر بعد في "صفد" قبل العودة إلى المغرب. (العزيز ٢٠٠١).
- محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي الشاعر المحاضر دفين المدينة المنورة (١٣١١ه١٨٩٣م).

له تاريخ في علماء عصره وقد افتتحه بشيخه علي بن ظاهر الوتري مسند المدينة المنورة ١٢٦١ه/١٩٢٢م) الذي زار المغرب مرتين وأخذ عن مغاربة جلة. وابن ظاهر هذا هو الذي أحيا موات الرواية بالمغرب وأنعشها بالمشرق (إبراهيم ١٩٩٣).

- محمد المجيدري اليعقوبي الذي كان أحد أربعة لم يبلغ أحد مبلغهم في عصره وهو القرن الثاني عشر الهجري وكانت له جولات في الحجاز وسائر أقطار الشرق. (العزيز ٢٠٠١، ص٦٤).

وهنالك كتب أخرى انتشر خلالها تاريخ الفكر من علماء الحجاز ككتاب " إيماض البرق في أدباء الشرق" لابن الأبار البلنسي.

خَاتِمَةٌ

تلك فذلكة مقتضبة يتضح لنا من خلالها مدى ما يمكن أن نستفيده من بعث تراثنا العربي الإسلامي في مختلف مظاهره ومعطياته وهو بعث كفيل بالمساهمة في دعم تاريخ العروبة والإسلام وتوطيد الصلات وتعميقها بين شقي العروبة شرقًا وغربًا.

وبعد، إن هناك فترات في تاريخنا البعيد والقريب ما تزال في حاجة إلى البحث والتنقيب، وأن في صدر تلك الفترات ما يوحد في تلك الظروف العصيبة التي استهدفت فيها بلاد المشرق والمغرب للغزو الأجنبي، وأنه إذا كان من مصلحة الذين غزونا وهاجمونا في عقر دارنا أن يطمسوا معالم قوتنا، وأن يكتموا جوانب تضامننا مشرقًا ومغربًا، فإنه لا يحق بحال لمؤرخينا أن يغفلوا عن أي آصرة من الأواصر التي جعلت منا مناضلين على أرض متباعدة ولهدف واحد وجعلت منا منتصرين هنا وهناك، لأن هدفنا كان واحدًا. وللتعبير من مؤرخينا عن اهتمامهم بذلك ينبغي أن يبرزوا في مناهج التاريخ، روح الوطنية والتاريخ المشترك الذي يربط بين المغرب والمشرق العربيين.

لائحة المصادر العربية والأجنبية:

المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتا ريخ مدينة فاس. الرباط، ١٩٧٣.
- أبو العباس أحمد القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٢.
- أبوبكر القادري. رحلاتي الحجازية (ارتسامات وذكريات عن ثلاث رحلات إلى الديار المقدسة. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٥.
- أحمد المكاوي. المغرب والمشرق العربي (١٩٥٠-١٩٦٠) صلات ومواقف. الطبعة الأولى. طنجة: الفاصلة للنشر، ٢٠٢٠.
- أحمد بن خالد الناصري. الاستقصا لأخبار المغرب اللأقصى. الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٥٥.
- التهامي الوزاني. الرحلة الخاطفة (مشاهدات ولقاءات في القاهرة سنة ١٩٥٧). تطوان: منشورات جمعية تطوان اسمير، ٢٠١٣.
- الجبرتي. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار. ط ٢. المجلد ج٢. بيروت: دار الجبل، ١٩٧٨.
- الزياني. الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًا وبحرًا. المحمدية: مطبعة فضالة، ١٩٦٧.
- السعيد لمليح. التواصل الفكري والروحي بين المغرب والمشرق الإسلاميين (مصر، الحجاز) أسسه ومظاهره من بداية القرن السابع إلى أواخر الثامن الهجريين. الطبعة الأولى. أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٥.
- السملالي المراكشي العباس بن إبراهيم. الإعلام بمَنْ حل بمراكش وأغمات من الأعلام. الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٩٣.
- حسن حسني عبد الوهاب. خلاصة تاريخ تونس. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦.
- سارة أرينسون. "الاكتشافات والملاحة البحرية في العالم الوسيط." عالم المعرفة، ٢٠٠٥: ١٢٣-١٧٣.
- عبد العزيز بنعبد الله. الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ. الرباط: دار نشر المعرفة، ٢٠٠١.
- سعيد الأحرش. الرحلات المغربية إلى الديار المقدسة وتركيا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين: مصدر من مصادر المعلومات عبر العالم الإسلامي. الطبعة الأولى. المجلد ٢. الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤.
- شارل أندريه. تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٦٩.
- طه عبد عبد الرحمان. "الإسهام المغربي في التراث الإسلامي، إسهام أخلاقي، عمل المغاربة الخلقي في مصر نموذجًا". مجلة التاريخ العربي، عدد١٤و ٢٠٠٠: ٢٠-٥٤.
- عبد الرحيم عبد الرحمان عبد عبد الرحيم. "دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث." المجلة التاريخية المغربية، ٢٠٠١.
- عبد الهادي التازي. "في تاريخ المغرب الدبلوماسي." دعوة الحق، ـــ عدد ١٣٥ السنة ١٩٨٩: ٢٠- ٣٥.
- "اللغة الأم." مجلة اللسان العربي، ١٩٩٠: ٥٠-٧٨.
- عبد الهادي بوطالب. ذكريات ...شهادات ووجوه. الطبعة الأولى. جدة: الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ١٩٩٣.
- عبد الوهاب بن منصور. العز والصولة في معللم نظم الدولة. الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٦١.
- عبد الوهاب حسن حسني. خلاصة تاريخ تونس. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦.
- عواطف محمد يوسف نواب. الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن للهجرة: دراسة تحليلية مقارنة. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٦.
- محمد الغربي. "معركة وادي المخازن." مجلة اللقاء، يوليو، ١٩٧٠: ٢٥-٥٤.
- محمد الفاسي. "من تاريخ الأدب المغربي." مجلة تطوان، ١٩٨٥: ١٦ـــ ٦٤.
- محمد القزويني. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. الرباط، ١٩٧٧.
- محمد المنوني. ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين . الرباط: كلية الآداب، ١٩٧٩.

- محمد بن تاويت. "المغرب الأقصى والمشرق العربي." دعوة الحق، ٣, ١٩٧٠: ٦٢.
- محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية. الطبعة الأولى. بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥.
- محمد بن عبد القادر الجزائري. تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. بيروت: دار اليقظة، ١٩٦٤.
- محمد حجي بوشعرة. الرحلة الحجية. أبو ظبي: دار السويدي، مركز ارتياد الآفاق، ٢٠٢٢.
- نقولا زيادة. الجغرافية والرحلات عند العرب. الطبعة الثانية. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٠.
- ياقوت الحموي. معجم البلدان. بيروت، ١٩٩٣.

لائحة المصادر الأجنبية

- Defremery et le Dr B.R Sanguinetti. Voyages D'ibn Batouta. Paris: Authopos, 1968.
- El Mansour Mohamed . Political and Social Developements in Morocco.
- Gabrel ferrand . Instruction nautique et routieresarabes et portugaise du XVl siecle.
- Georges Dragues . Esquises d'histoire religieuse du maroc . Paris ،1951.
- J Meinier–libr Klineksick ،1982 . le maroc Saharien des origines.